

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عقبة العلم

• تمهيداً للدخول في هذا المنهاج الذي نرجو من الله أن يرزقنا السير عليه حتى نبليغ غايته ومراده في دخول جنة رب العالمين، طبعاً الخطوات هذه تحتاج إلى صدق وخلص ومثابرة واليوم إن شاء الله نفتتح بأول عقبة لابد أن تتجاوزها، لابد أن تتعداها وتأخذ بها، في هذا الفصل يتكلم عن عقبة مهمة وهي عقبة العلم..

• يقول الإمام الغزالي: "فأقول وبالله التوفيق يا طالب الخلاص والعبادة عليك أولاً - وفقك الله - *أمين* بالعلم.....إلى قوله "العلم إمام العمل".

• في بداية هذا الباب أولاً يذكر لك أمرين اثنين أساسيين، المطلوب منك:

1. أن تعبد.

2. أن تعلم.

• الآية التي استدلت بها الإمام الغزالي عن نوعية العلم الذي ينبغي أن تتعلمه؟ هناك علوم كثيرة بها من الفصول والأبواب والكتب، ذكر الله عز وجل هذا العلم في سورة الطلاق (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)

• كيف أعلم أن الله على كل شيء قدير؟ أنا كمسلم أعلم هذا.. هذه معلومة وليست علماً..

• أو من لأن رسول الله أخبرني أن الله على كل شيء قدير.. والقرآن أخبرني أن الله على كل شيء قدير.. صاحب هذا العلم يسمى عارفاً بالله بصفة القدرة..

• كيف تصل إلى هذا؟ الإمام الغزالي يذكر أن العبادة إذا ارتبطت بالعلم صارت حياتك أنساً.. للأسف هذا العلم صار نادراً لا تجد جامعات تدرسه لا تجد علماء - إلا من رحم ربك - لا تجد من يطلبه إلا القلة، لأنه علم تتوقف عليه شؤون الحياة كلها فصار هذا العلم عزيزاً ونادراً لأن علماء يموتون واحداً تلو الآخر..

• هذا العلم له مفاتيح، وأي خزانة لا تملك مفتاحها لا يمكن أن تفتحها، لا تقل سأكسر الخزانة حتى أفتحها لن تستفيد منها شيئاً..

• هذا العلم تصل إليه بـ:

❖ **المفتاح الأول: الفكر..** الآية عندما تقرأها (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا)..

• كل ما خلق الله لك في عالم الملك هي عبارة عن آيات صفات الحق كل مخلوق يمثل صفة من صفات الله، فمخلوق تشاهدة يمثل أمامك صفة القدرة، ومخلوق يمثل أمامك صفة القهر، ومخلوق آخر يمثل صفة الإحسان، ومخلوق آخر يمثل صفة الإبداع إلى غير ذلك..

• تحتاج إلى أن تتفكر في هذه المخلوقات حتى تستدل بها على الله فتجد في كثير من خلق الله من معاني القدرة لله ما يفتح لك بها آفاق الهيبة من الله..

• وإذا فتحت لك أبواب الهيبة لا يعجزك شيء **ما في شيء اسمه مستحيل بالنسبة لك أنت كعبد لأن ربك على كل شيء قدير..**

• يظهر لك أشياء ما يمكن لعقلك أن يستوعبها.. هناك أشياء حجبها عنك ويظهرها لك في أوقات روحك ممكن تستوعبها فيفتح لك آفاق المعرفة، فلن يخيفك شيء **ولن يستوقفك شيء لأنك معتمد على الله تعالى..** فصاحب هذا العلم لا يعرف اليأس ولا الخوف والكسل ولا القنوط.. لأنه يعلم أن الله على كل شيء قدير..

• مهما باءت محاولاته للفشل يعلم أنها طريق للنجاح.. كل ذنب أذنبته فتبت، تحاول أن تتقرب إلى الله بصفة الانكسار له، فلعل ذنباً يورث قلبك انكساراً صادقاً فيتجلى عليك الله باسمه التواب..

• أبوك آدم كونه أكل من الشجرة بسبب وسوسة إبليس، تعلم علماً لم يكن عنده من قبل، كيف حصل عليه؟ هو كان عنده علم الأسماء (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) ما هو هذا العلم؟ (فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) هذه الكلمات هي علم علمها الله سيدنا آدم فكانت سبباً لقبول سيدنا آدم عليه السلام..

• ما هي الكلمات؟! (قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).. كلمات لكنها مفاتيح لمعاني تجليات الله تعالى فما خلق الله شيئاً لهواً ولا عبثاً ولا لعباً..

• ما خلق الله لك في هذه الحياة خلقاً إلا من أجل أن يعلمك أشياء.. مثلاً دعونا نتكلم في شيء من الدقة قد ينتاب لأحدكم سؤال لماذا خلق الله بعض الحشرات؟ في ظنك ربما تؤدي لا فائدة منها.. ما من مخلوق يخلقه الله لك من بهائم أو حيوانات أو أحجار أو حشرات أو طيور إلى غير ذلك إلا

لتكون معلمات لك، تعلمك آية من آيات الله لك، مشكلة الإنسان أنه لا يتوقف عندها لأنه لا يطلب من هذا العلم، إنما يخرج من أجل قوت يومه وأهوائه ولا عناية له بما وراء ذلك..

• ذكر الله في القرآن أمثلة لك.. ماذا تعلمت من النملة؟ من النحل؟ الطيور؟ الذباب؟ ماذا علمك الله؟ ماذا استفدت؟

• هي تعيش في عالمها الذي سخرها الله لها.. هو لها كما هو لك أنت.. الذبابة تعيش حياتها بكل شيء فيها لم يترك الله لها شيئاً تعيش حياتها وكذلك النمل.. يعيش حياته ويعطيك علماً يربطك بالله عز و جل.. الكثير يموتون ولم يتفكروا.. الله تعالى أعطاك مثلاً عن طير الغراب.. قد يقول أحدهم قبيح المنظر صوته مزعج شرس إلى آخره أليس كذلك؟ فالله أول ما خلق سيدنا آدم عليه السلام، ومن أولاده قابيل وهابيل.. قتل أخاه، تعرفون القصة عندما قتل أخاه فبعث الله غراباً (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ).. هذا الغراب أعطاه علماً، كذلك أنت تحتاج أن تتعلم من هذه المخلوقات التي تراها.. كذلك قد تجد في بعض الحيوانات والدواب صفاتاً لا تليق.. مثلاً النملة فيها صفة لا تليق وهي الحرص على الدنيا.. أي قطعة سكر لا تتركها..

• قد يخزن في بيوته تحت الأرض طعاماً لا يحتاجه ويتعب نفسه لمستقبل مجهول.. مع أنها حشرة فأنت ترى النملة في بيتك قبل أن تفكر في قتلها فكر ماذا تعمل، يمكن في لحظة أن تنهيها.. ربك يريد منك أن تتعلم هذا العلم من المخلوقات التي تراها لكن لا أحد يطلب هذا العلم..

• نريد أن نجعل هذا الدرس واقعاً نعيشه حتى ندرك الحقيقة..

• عندما تشم رائحة كريهة ما هو العلم الذي تستفيده؟ لاشك أنك تنزعج وربما يغمى عليك.. لماذا خلق الله ذلك؟

• قالوا -أهل السلوك- إن شممت رائحة كريهة فهذا يريد يوصل لك رسالة عملت عملاً سيئاً فتشم رائحة كريهة فإن لم تتب فستشم رائحتها في قبرك..

• جاء في الحديث أن العمل يتشكل للعبد، فالعمل الصالح يتشكل بشكل يسرّ عينه إذا نظر إليه، وأذنه إذا سمعه وأنفه إذا شم.. وإن كان عمله قبيحاً فتزعج عينه إذا نظر، وأنفه إذا شم، وأذنه إذا سمعه.. فعندما تشم رائحة كريهة قل: أف لعملي السيء، قل: ماذا عملت حتى شممت هذه الرائحة؟ أنت ما هي الرسالة الموجهة لك؟ فتتوب إلى الله تعالى.. الله يرزقنا توبة نصوحاً..

❖ **المفتاح الثاني: الذكر لله عز و جل..** المقصود أن الآيات التي تراها في خلقه لا بد أن تذكرك به سبحانه وتعالى، آيات تدل على القدرة فتسبح الله..

- آيات النعمة فتحمد الله.. آيات الإحسان فتثني على الله وهكذا..
- تذكر الله عندما ترى الآيات.. وفي كل يوم آيات نراها ولا نذكره.. ممكن يحمل سبحة ويسبح من باب إشغال الوقت بالذكر هذا خير وبركة..
- لكن الأفضل من ذلك أن يكون تسبيحك وحمدك عن شهود ووجدان وإحساس فتذكره حق الذكر وتحمده حق الحمد..
- قس على نفسك عندما تقول: الحمد لله، وعندما تقولها بعد ظمأ وشربت ماءً بارداً.. الأول: حمدت من باب حمده والآخر حمدته من بعد أن أرواك وأذاقك لذة.. (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ) ما قال الذي خلقهم.. كلما جعت فأطعمك فيكون الجوع يذكرك بالله..
- والشبع (وَأَمَّنْهُمْ مِنْ خَوْفٍ) والأمن يذكرك بالله.. الله يرزقنا هذا العلم..
- وعودوا أنفسكم كلما رأيتم من آيات القدرة سبحوا الله، وآيات النعمة فتحمدوه، وكذلك تذكرون الله بتفرد في الإيجاد بقولكم "لا إله إلا الله"..
- نحن مقصرون جداً في ذكر الله عز و جل.. أسألك سؤالاً: أتعرف السماء؟ أتعرف الأرض؟ كم مرة حمدت الله أنه خلق السماوات والأرض؟
- مع أنه هو حمد نفسه في القرآن (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ).. ربما بعض الناس ولا مرة قالها..
- عندما أخذت القرآن لتتلوه هل قلت: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ) قبل تلاوته؟
- أبوك وأمك.. أما قلت الحمد لله الذي خلق أبي؟ الحمد لله الذي جعل فلانة أمي؟ أهنالك أحداً غيره جعل فلانة أمك؟ ما حمدت الله عز و جل!
- لذلك نقول تحتاج إلى فكر وإلى ذكر.. وتحتاج إلى من يربط لك هذه الأمور:
- ❖ *المفتاح الثالث*: في قالب توجيهي ويسمى الشيخ..
- في سورة في القرآن معظم آياتها تذكرك بنعم الله عليك.. سورة النبأ.. (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) بلى الحمد لله.. (وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا) بلى الحمد لله..
- (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) بلى الحمد لله.. (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا).. إلى آخر ما قال الله عز و جل.. كلها موجودة أمام عينيك..
- هنا تأتي فائدة اتباعك للنبي صلى الله عليه وسلم.. ممكن أتذكر يوم يومين وأنسى.. هناك سنة إذا عملتها تغنيك إن شاء الله..

- جاء عنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من نومه مسح النوم عن عينيه ونظر إلى السماء وقرأ (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) أواخر سورة آل عمران..
- عندما ذكرنا ننظر إلى والديك فتحمد الله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ).. قالوا لو أن الأب حمد الله على ما رزقه من ذرية، مهما كانت تلك ذرية سواء كانت بها نقص أو عيب تحمده عليها.. لأن ما من مولود ذكر أو أنثى إلا وهو هبة (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا لَهُ وَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الدُّكُورَ).. وقدّم الأنثى هي من المبشرات فلا بد تشكر الله عليها..
- فإذا حمد الله عليهم يحصل أن الله يجعل أبناءه يشكرون الله أنه وهبهم أباهم.. أعطاك الله طفلاً وطفلة الحمد لله الذي وهبني بنتي فلانة..
- أولادهم سينجبون أطفالاً سيقولون الحمد لله الذي وهبنا جدنا فلان.. منفعة متبادلة..
- وكذلك الزوج يحمد الله على زوجته، وهي كذلك تحمد الله على زوجها، ربما في صفات في الزوج غير طيبة...
- تحمد الله على ما رُزقت من زوج، لأن ما فيه من صفات غير طيبة علمتك الصبر والتحمل أليست نعمة تحتاج إلى شكر؟ فلتشكر الله..
- والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ورضي الله عن الصحابة أجمعين، وجزى الله عنا سيدنا الامام الغزالي وسيدي الحبيب حسين خير الجزاء ونفعنا بعلومهما في الدارين